

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية . قسنطينة .

مطبوعة في مادة فقه اللغة

موجهة لطلبة السنة الثالثة كتاب وسنة

(تغطي مجموعة من المحاضرات)

جمع الدكتور: محمد لمين مقروود

المحاضرة الخامسة: العرب.

قبل الحديث عن حياة اللغة العربية لا بدّ من الحديث عن القوم الذين تنسب إليهم هذه اللغة، وهم العرب، فمن هم العرب؟ وما أصل كلمة العرب؟ وأين موطنهم؟ وما طبقاتهم؟

1. العرب: هم جيل من الناس، ممتازون بمساكن ولغات وعادات وديانات مخصوصة.

2. أصل كلمة العرب: اختلف العلماء في أصل كلمة العرب، وانقسموا في ذلك على أربعة آراء:

الرأي الأوّل: أنّ كلمة العرب منسوبة إلى "يعرب بن قحطان" مشتقة من اسمه.

الرأي الثاني: أن كلمة العرب مشتقة من الفعل "أعرب" بمعنى: أفصح، وأصبحت تدل على جنس العرب لفصاحتهم.

الرأي الثالث: أنّ كلمة العرب نسبة إلى بلدهم "العربات"، وعربة هي مكة.

الرأي الرابع: أنّ كلمة العرب مشتقة من أصل ساميّ قديم، فقد أثبت الباحثون المعاصرون أنّ هذه الكلمة كانت مستعملة عند سكان بلاد ما بين النهرين، حيث كانوا يطلقون على سكان البادية الواقعة على الغرب من بلادهم اسم "عربي"، كما أنهم وجدوا كلمات في العبرية مثل: أرابا، إرب، عابار، عرابة، وهي كلمات ذات صلة بالبدواة والصحراء، كما وجدوا أنّ كلمة العرب في النصوص الآشورية القديمة التي وصلت إلينا كانت تعني "البدواة".

ولعلّ الرأي الراجح هو الرأي الأخير؛ لأنّ معرّز بأدلة واضحة خلافا للآراء السابقة التي اعمدت روايات لا دليل على صحتها.

3. البيئة الجغرافية للعرب: ينتمي العرب إلى "الجزيرة العربية" أو "شبه الجزيرة العربية"، وهي رقعة جغرافية مترامية الأطراف، تقع في القسم الجنوبي الغربيّ من قارة آسيا، وهي أقصى منطقة في هذه القارة في هذا الاتجاه، تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين كيلومترا مربعا.

وهي محاطة بالخليج العربيّ في الشّمال الشرقيّ، وبمضيق هرمز وخليج عمان شرقاً، ومن الغرب بالبحر الأحمر، ومن الجنوب المحيط الهنديّ، ومن الشمال المنطقة الصحراويّة في العراق وسوريا.

4. أقسام الجزيرة العربيّة: كانت الجزيرة العربيّة تقسّم في القديم إلى خمس مناطق هي:

.الحجاز: وهو المنطقة التي تفصل تهامة ونجد.

.تهامة: وتشمل المنطق الساحليّة الضيّقة الموازية لامتداد البحر الأحمر.

.اليمن: يطلق على الجنوب كلّهُ.

.العروض: ويقع على ساحل بحر الخليج ما بين عمان والبصرة.

.نجد: وهو الهضبة الوسطى، قلب جزيرة العرب، وهي أوسع أقاليم الجزيرة العربيّة.

5. طبقات العرب: هناك ثلاثة تقسيمات للعرب:

التقسيم الأوّل: يقسم العرب فيه إلى قسمين:

العرب البائدة العاربة: وهم القبائل التي كانت تعيش في جزيرة العرب ثم بادت قبل الإسلام وانقرضت أخبارها، وهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح وهي: عاد وثمود وأميم وعيّيل وطسّم وجديس وعمليق وجُرهم ووّبار، وكانت مساكن عاد بجنوب الجزيرة في طرف من صحراء الربع الخالي وثمود بشمالها الغربي، وطسّم وجديس بشرقها، والعمالقة وجرهم بالحجاز، وبمكة ويثرب.

العرب الباقية المستعربة: وهم بنو "يعرب بن قحطان" وبنو "معد بن عدنان بن أد".

التقسيم الثاني: يقسّم العرب إلى ثلاثة أقسام:

عرب بائدة. وعرب عاربة: وهم القحطانيون. وعرب مستعربة: وهم العدنانيّون.

التقسيم الثالث: يقسّم ابن خلدون العرب إلى أربعة أقسام هي:

العرب العاربة: وهو البائدة. والعرب المستعربة: وهم القحطانيون. والعرب التابعة: وهم العدنانيون.
والعرب المستعجمة: وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلامية.

مراجع المحاضرة:

1. ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.
2. السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها.
3. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
4. محمد طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام.

المحاضرة السادسة: حياة اللغة العربية.

مرت اللغة العربية في حياتها الطويلة بأدوار ومراحل، وارتقت في مختلف الفترات درجات التصاعد والتطور، وتقسّم مراحل حياتها إلى أربع هي:

1- مرحلة النشأة: حيث اللغة الأم (السامية)، وحيث كانت العربية في مرحلة مخاض، فكثير من الباحثين يعتبر (العربية، والسوريانية، والآشورية، والآرامية، والكنعانية) لهجات للغة واحدة، ثم تمايزت بشكل كبير جعلها تتحول على مدى الأزمنة إلى لغات.

2- لغة العرب البائدة: وتسمى عريّة النقوش؛ لأنها لم تصل إلينا إلا عن طريق نقوش قليلة، والعرب البائدة هم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح وهي: عاد وثمود وأميم وعَبِيل وطَسَم وحَدِيس وعَمَلِيق وجُرْهم ووَبار، هؤلاء هم الذين كانوا يتكلمون العربية التي استقلت عن السامية الأم وتطورت إلى أن اتخذت لنفسها شكلاً مستقلاً ونستطيع أن نعتبر عريبتهم فترة متطورة من العربية الأولى التي وجدت في فترة النشأة.

وأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث: الثمودية (نسبة إلى قبائل ثمود)، والصفوية (نسبة إلى منطقة الصفا)، والالحبانية (نسبة إلى قبائل الحبان في شمال الحجاز).

3- لغة القبائل القحطانية: ويسمونها الباحثون (الحميرية) وهذه القبائل كانت تسكن الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية - حضرموت واليمن -، حيث جاؤوا أقرب الأمم إليهم وهم (الأحباش) وكثر اختلاطهم بهم فتأثرت لغتهم باللغة (الحبشية)، مما جعل بعض المستشرقين يعتبر (الحميرية) و(الحبشية) لغتين شقيقتين لما وجد من كثرة التشابه بينهما في المفردات والخصائص، ولا ننسى أنه لم يكن هناك مفر أمام (الحميرية) من التأثير بشكل واسع بالحبشية بسبب هجرات اليمنيين والغزوات المتبادلة، وقد أقام (الأحباش) زمناً طويلاً باليمن وحكموها، فاللغة الحميرية إذن أضافت إلى ما ورثته من لغة العرب البائدة خصائص ومفردات جديدة تأثرت كثيراً بعوامل خارجية.

وأهم اللهجات العربية القحطانية أربع: المعينية (نسبة إلى المعينين، أسسوا مملكة قديمة في جنوب اليمن)، والسبئية (نسبة إلى السبئيين، أسسوا مملكة قديمة في مأرب)، والحضرية (نسبة إلى حضرموت، وقد كانت مملكة عظيمة)، والقبتانية (نسبة إلى قبتنا، وهي مملكة قديمة في شمال عدن).

4- لغة القبائل العدنانية: وهي لغة القبائل التي تنتسب إلى عدنان بن إسماعيل عليه السلام، وكانت تسكن القسم الشمالي من الجزيرة العربية الذي يشمل: هجر، ونجد، والحجاز، وتمثل المرحلة النهائية في مراحل تطور العربية، المرحلة التي بلغت فيها قمة الفصاحة، فبقيت هذه اللغة - العدنانية - تأخذ طريقها إلى النمو والتصاعد لتشكّل في نهاية الأمر اللغة العربية الرئيسية المتكاملة التي بقيت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بينما أخذت اللغات الأخرى ومنها (الحميرية) طريقها إلى الانقراض، حتى لم يبق اليوم إلا بقايا أثرية في الأطلال والنقوش وكتب اللغة.

وتنقسم اللهجات العربية العدنانية إلى مجموعتين كبيرتين هما: "الحجازية الغربية"، وتدعى أحياناً قرشية، و"النجدية الشرقية"، وتدعى أحياناً تميمية.

وتنتمي العربية إلى فرع السامية الشمالية، والسامية الشمالية تنتمي إلى المجموعة السامية، والمجموعة السامية تنتمي إلى الفصيحة السامية الحامية، وسنعرف في المحاضرة القادمة شيئاً عن هذه الفصائل.

مراجع المحاضرة:

1. السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها.
2. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة.
3. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة.
4. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة.
5. عبد العزيز القارئ المدني: دراسات في أصول اللغات العربية.

المحاضرة السابعة: اللغة العربية بين أخواتها السامية.

1. فصائل اللغات:

أفضل النظريات في تقسيم اللغات هي التي تعوّل على صلات القرابة اللغوية، فتنشئ من كل مجموعة ماثلة أو متشابهة في الكلمات وقواعد البنية والتراكيب فصيلة من الفصائل، تؤلف بينها غالبًا روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية، ويقسم العلماء -على ذلك الأساس- اللغات ثلاث فصائل:

1- الفصيلة الهندية الأوربية.

2- الفصيلة الحامية السامية.

3- الفصيلة الطورانية.

الفصيلة الهندية الأوربية: تشتمل على ثمان مجموعات هي: اللغات الآرية: (بفرعيها الهندي والإيراني)، اللغات اليونانية: (وتشمل فرعين: اليونانية القديمة، واليونانية الحديثة)، اللغات الإيطالية، (وأهم فروعها: اللاتينية التي تشعبت منها الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية ولغة رومانية)، اللغات الجرمانية، (وأهمها فرعان: فرع اللغات الجرمانية الغربية، وفيها الإنجليزية - السكسونية، والإنجليزية الحديثة، والهولندية والألمانية، وفرع اللغات الجرمانية الشمالية، وهي لغات الدايمرك والسويد والنرويج)، اللغات السلافية: (وهي فرعان صقلية وبلطيقية؛ فمن الصقلية الروسية، والتشيكية، والبولونية، والبلغارية الحديثة، ومن البلطيقية: الليتوانية، والبروسية القديمة). اللغات الأرمنية، اللغات الألبانية، اللغات الكلتية (كان ينطق بها شعوب الكلت، وقد غلبتها الآن اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وإن بقيت ظواهر منها في لهجات إيرلندا ومنطقة البريتون غربي فرنسا).

الفصيلة الحامية السامية: وهي ذات مجموعتين: مجموعة اللغات الحامية، (وفيها ثلاثة فروع: المصرية والبربرية والكوشيتية؛ والمصرية تشمل المصرية القديمة والقبطية، أما البربرية فهي لغة السكان الأصليين لشمال أفريقيا، وأما الكوشيتية فهي لغة السكان الأصليين للقسم الشرقي من إفريقيا، وبها يتكلم نحو ثلث سكان الحبشة)، مجموعة اللغات السامية، (وفيها فرعان: السامية الشمالية: وتشتمل اللغات الأكادية، أو الآشورية البابلية، واللغات الكنعانية -العبرية والفينيقية-، واللغات الآرامية/ السامية الجنوبية: وتشمل: العبرية (عبرية الشمال)، واليمينية القديمة (عبرية الجنوب)، واللغات الحبشية السامية).

الفصيلة الطورانية: يطلق اسم "اللغات الطورانية" على طائفة من اللغات الآسيوية والأوروبية التي لا تدخل تحت فصيلة من الفصيلتين السابقتين، كالتركية والتركمانية والمغولية والمنشورية والفليبينية، وهلم جرا، فاللغات الطورانية ليست إذن فصيلة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، أي: مجموعة ترجع إلى أصول واحدة، ويجمع بين أفرادها صلات تشابه وقرابة، بل هي أمشاج من لغات لا يؤلف بينها إلا صفة سلبية، وهي عدم دخولها في إحدى الفصيلتين السابقتين.

2. اللغة العربية واللغات السامية:

يوضح البحث المقارن في اللغات السامية عددا من الحقائق المهمة حول تاريخ العربية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وإذا كانت اللغة العربية أحدث لغة سامية دونها أبنائها. فإن اللغات السامية الأخرى قد دونت قبل اللغة العربية بقرون طويلة، فالأكادية دونت حوالي سنة 2500 ق.م، والأجريتية كتبت حوالي سنة 1400 ق.م، وتوضح المقارنات بين اللغات السامية المختلفة أن العربية احتفظت بمجموعة من الخصائص المعرقة في القدم والتي ترجع إلى اللغة السامية الأولى، فالخصائص المشتركة في كل اللغات السامية، أو أكثرها هي الخصائص التي يفترض الباحثون أنها مورثة عن اللغة السامية الأولى التي خرجت عنها كل اللغات السامية.

الجانب الصوتي: بمقارنة الكلمات الأساسية المشتركة في كل اللغات السامية يستطيع الباحث أن يتبين مجموعة من السمات المشتركة المعرقة في القدم في مجال الأصوات، فكل اللغات السامية لا تتمايز أو تختلف أي اختلاف من ناحية أصوات الراء واللام والنون والتاء والبدال؛ فالراء العربية يقابلها راء في الأكادية وراء في العبرية وراء في الآرامية وراء في الحبشية دون أدنى تغيير حقيقي، أما اختلاف نطق الصور الصوتية المختلفة للراء تارة بالتفخيم وأخرى دون تفخيم فيصعب التعرف عليها بالنسبة لأكثر اللغات السامية، وشبيه بهذا أمر اللام التي نجدها في كل اللغات السامية لاما، وكذلك النون والبدال والباء والميم.

لكن مجموعة من الأصوات المشتركة الثابتة في اللغات السامية كلها قد تعرضت لتغيرات محدودة في النظام الصوتي للعربية والآرامية، فالباء تنطق مثل الباء العربية إذا كانت في أول الكلام ولكنها تنطق مثل حرف "V" الأجنبي في الإنجليزية لو كانت غير مشددة ومسبوقة بحركة، والكاف تنطق مثل الكاف العربية في أول الكلام وتنطق خاء إذا كانت غير مشددة ومسبوقة بحركة. وتنطق التاء تاء كما تنطق بعد أي حركة تاء.

هناك مجموعة أصوات نبجدها واضحة متميزة في كل أفرع اللغات السامية عدا الفرع الآكادي وهي مجموعة أصوات الحلق مثل العين والحاء.

الجذر الثلاثي: تمتاز اللغات السامية بأن أصول كلماتها تتألف غالبًا من ثلاث أصوات ساكنة "ض ر ب" والقائلون بثلاثية الأصول السامية يردون الرباعي منها إلى الثلاثي؛ فيردون دحرج مثلاً إلى دحر أو درج، لما فيهما من معنى الإبعاد والدفع.

الدلالة على المعنى الأصلي: تمتاز اللغات السامية في دلالتها على المعنى الأصلي باعتمادها على حروف المباني، وفي تفرقتها بين المعاني المتكافئة باستخدامها حروف المعاني أو الحركات، نحو لفظ "م ل ك" فهو يدل على معنى مشترك بين عدد من الكلمات التي تتألف من هذه الأصول الثلاثة، فمنه: مَلِكٌ، مُلِكٌ، مَلِكٌ، مُلِكٌ، ...

الاشتراك في الألفاظ: هناك مجموعة من الألفاظ المشتركة في اللغات السامية، والمقصود بذلك أن جذورها الاشتقاقية مشتركة، وليس معنى هذا أن معناها متفق في اللغات السامية المختلفة كل الاتفاق، فالتغير الدلالي ظاهرة معروفة في إطار اللغة الواحدة فضلاً عنه في إطار الأسرة اللغوية الواحدة، فكلمة "لحم" تعني في العربية شيئاً مخالفاً لما تعنيه كلمة Lehem في العبرية، فالأخيرة تعني الحبز واضح أن الكلمتين العربية والعبرية من جذر اشتقاقي واحد هو ل ح م. ويتفق معنى هذا الجذر اتفاقاً بعيداً في أن المقصود هو الأكل اليابس غير السائل، ولكن اختلاف معنى الكلمتين قد جعل كلا منهما متخصص بمعنى آخر يوضح فكرة وحدة الأصل الاشتقاقي وتغير دلالات الكلمات المشتقة منه في اللغات السامية المختلفة. فكلمة "أهل" في العربية يقابلها في العبرية Ohel هما من أصل واحد هو همزة وهاء ولام. ولكن الكلمة العبرية تعني "الخيمة" ولا تعني أي شيء آخر، أما الكلمة العربية فتعني الأسرة عموماً أو الزوجة بصفة خاصة. وهناك علاقة بين المعنيين يمكن تصورها بأن المجتمع البدوي أشبه وصف الخيمة أو الزوجة التي بها أو الزوجة أو الأولاد الذين بها بنفس الكلمة.

مراجع المحاضرة:

1. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة.
2. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة.
3. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية.

4. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة.

5. عبد العزيز القارئ المدني: دراسات في أصول اللغات العربية.

المحاضرة الثامنة: اللغة العربية الفصحى.

يتفق علماء اللغة على أنه لا يُحکم لكلام بأنه من اللغة العربية الفصحى إلا إذا ثبت بطريقتين هما: السماع، والقياس.

1. السماع: وهو "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل كلام الله تعالى، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر".

فالسّماع إذا ثلاثة أنواع: القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب.

القرآن الكريم: وقد اعتبره علماء اللغة في أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة، ولذا وقفوا منه موقفا موحدا فاستشهدوا به، وقبلوا كل ما جاء فيه، ولا يعرف أحد من اللغويين قد تعرض لشيء مما أثبت في المصحف بالنقد والتخطئة، وكذلك الأمر بالنسبة للقراءات، فقد وضعوا لصحة القراءة شرطا واحدا هو صحة الرواية عن القارئ العدل حتى لو كان فردا، وسواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الآحاد، وسواء كانت سبعة أو عشرية أو شاذة، يقول السيوطي: «أما القرآن فكل ما ورد أنه قريء به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواترا، أو آحادا، أم شاذًا».

الحديث النبوي: لم يشك مسلم بفصاحة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أفصح من نطق بالعربية، لكنّ علماء اللغة اختلفوا في الاستشهاد بالحديث النبويّ في مسائل اللغة؛ ذلك لاحتمال تصرّف الرواة في ألفاظ الحديث وروايته بالمعنى، وانقسموا في هذه المسألة على ثلاثة آراء:

الرأي الأوّل: يمنع الاستشهاد بالحديث النبوي؛ وذلك لأمرين: 1. أنّ الرواة جوّزوا النقل بالمعنى.

2. أنّ وقع اللحن كثيرا فيما روي من الحديث، لأنّ كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع.

الرأي الثاني: المجيزون للاستشهاد بالحديث النبويّ؛ واحتدوا لذلك بجملة من الأمور: 1. أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أفصح العرب. 2. أنّ الأصل في رواية الحديث عدم تبديل ألفاظه. 3. أنّ الحديث النبوي أصح من الشّعْر العربي الذي يستشهد به، وكثير من الشعر رواه أيضا أعاجم وغيرت ألفاظه.

الرأي الثالث: المتوسّطون بين المنع والجواز؛ حيث رأوا أنّ هناك من الأحاديث رويت باللفظ ولا يشكّ أحد في أنّ لفظها من النبيّ صلى الله عليه وسلّم، فهذه يستشهد بها.

كلام العرب: وقد وضع اللغويون شروطاً تشمل الزمان والمكان بالنسبة لكلام العرب، أما من ناحية الزمان، فقد حددوا نهاية الفترة التي يستشهد بها بآخر القرن الثاني الهجري بالنسبة لعرب الأمصار، وآخر القرن الرابع بالنسبة لعرب البادية، وأما المكان فقد ربطوه بفكرة البداوة والحضارة، فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب إلى حياة البداوة كانت لغتها أفصح، والثقة فيها أكثر، وكلما كانت متحضرة، أو أقرب إلى حياة الحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهة، ولذلك تجنبوا الأخذ عنها، وفكرتهم في ذلك أن الانعزال في كبد الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ للغة نقاوتها ويصونها عن أي مؤثر خارجي، وأن الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالألسنة، قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بـ (الألفاظ والحروف): «كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وإبانة عما في النفس، والذين عنهم اللغة العربية وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسان العربي من بين كلام العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم».

2. القياس: وهو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه.

مراجع المحاضرة:

1. السيوطي: الاقتراح في أصول النحو.
2. السيوطي: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها.
3. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب.
4. محمود أحمد نخلة: أصول النحو العربي.